

# العمارة الملكية في بلاد الرافدين وسورية في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (من أواخر عصر البرونز القديم إلى نهاية عصر البرونز الحديث)

الدكتور حسان عبد الحق\*

## الملخص

يتحدث هذا المقال عن القصور التي شيدت في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث ق.م<sup>1</sup> (عصر سلالة أور الثالثة 2112-2004 ق.م) إلى نهاية الألف الثاني ق.م (عصر البرونز الوسيط 2000 - 1600 ق.م، وعصر البرونز الحديث 1600 - 1200 ق.م) في سورية و العراق. وشهدت هذه المرحلة نهضة كبيرة على صعيد العمارة الملكية، ما دفعني لدراستها بهدف الكشف عن الأنماط المعمارية التي عرفتها القصور المشيدة آنذاك. حاول هذا البحث التركيز على نقاط جوهرية في القصور خاصة فيما يتعلق بظروف ظهور القصور وارتباطها بالسلطة السياسية وأهميتها في حياة الممالك القديمة. وسعى هذا البحث أيضاً إلى تقديم صورة عن عالم القصور وعلاقة هذا العالم بالعالم الخارجي، ويمكن تكوين هذه الصورة من خلال دراسة القصر من الناحيتين المعمارية والأثرية. وبفضل ذلك كله، يمكننا تعرّف وظائف القصور (سياسية ودينية وإدارية واقتصادية) في العراق وسورية في المرحلة التي ندرسها.

\* قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق  
1 يمتد عصر البرونز القديم من 2800 إلى 2000 ق.م.

## تمهيد

أثبت التنقيب الأثري لمواقع كثيرة في الشرق الأدنى القديم أن القصور الشرقية القديمة كانت تختلف عن بعضها بعضاً في الحجم، فبينما عُثر على قصور ذات حجم كبير تضم عدداً كبيراً من الأقسام ذات وظائف متعددة عُثر أيضاً على قصور ذات حجم صغير لا تضم الأقسام نفسها التي أُثبتت واكتشفت في القصور الملكية الكبيرة التي كانت تؤدي دوراً مهماً في حياة الممالك القديمة.

والعديد من القصور الشرقية لم تنقب بشكل كامل (قصر سامسي أدو في تل ليلان وقصر تل الرماح) أو أنها كانت متهدمة في بعض أجزائها، ممّا أدى إلى خلق مشكلة كبيرة في معرفة حدود هذه القصور وحجمها الحقيقي. إن الخراب والدمار الذي لحق بهذه القصور أصاب -في بعض الأحيان- أجزاءً من أقسامها الداخلية (معظم قصر أوروك، الوحدة 62 و63 في قصر لارسا، قصر آشور القديم، الردهة الكبيرة في قصر توتول، القطاع الجنوبي الشرقي في قصر مارى الكبير، القطاع المركزي والغربي في قصر Q في إيبلا) أو بعض حدودها الخارجية كما هو الحال في القصور الآتية: قصر لارسا وقصر Q في إيبلا وقصر قطنا.

وضع المنقبون مخططات لهذه القصور وحاول بعضهم وضع تصورات للأجزاء المفقودة منها، وبذلك يكونون قد وضعوا مخططاً كاملاً لأغلب القصور. ومع ذلك، لا يمكن أن نعتمد في دراستنا هذه على هذه المخططات بشكل مطلق لأن المختصين لم يضعوا مخططات الأقسام المتهدمة على أساس قطعي بل على شكل فرضيات. فضلاً عن المشكلة المعمارية، نعاني أيضاً في دراستنا للقصور الشرقية من مشكلة قلة المكتشفات الأثرية في داخلها، فهذه المشكلة تعيق - في كثير من الأحيان - معرفة وظيفة الغرف داخل القصور، فعلى سبيل المثال اختفاء الجرار من مستودعات التخزين في القصر يُصعب علينا تحديد مكان المخازن في القصر.

## العوامل التي أدت إلى ظهور القصر وعلاقته بالتمدن وبالمحيط الخارجي المتمدن

ارتبط ظهور القصر بظاهرة التمدن التي بدأت في عصر فجر الحضارة في بلاد الرافدين، ففي هذه المرحلة نشأت المدن الأولى وتركزت حول المعابد. وكان لهذه المعابد أهمية كبرى، فقد كانت مركزاً للمستوطنات التي تجمع فيها الناس الذين كانوا يعملون في الزراعة وتربية الحيوانات. وكان الكاهن الذي يتخذ من المعبد مقراً له هو الذي يدير شؤون هذه المستوطنات التي تحولت إلى مدن. واستمد سلطته من إله المدينة الذي كان يمتلك أراضي المدينة وفق الاعتقاد السومري<sup>2</sup>. واستمر هذا التقليد إلى نهاية عصر السلالات الباكراة الأولى (2900-2750 ق.م). وفي عصر السلالات الباكراة الثانية (2750-2600 ق.م) انفصلت السلطة السياسية عن الدينية وظهر القصر. وبذلك يكون المعبد قد فقد دوره السياسي وأصبح القصر مقراً للحكم، يسكنه الملك الذي كان يدير الشؤون السياسية لدولته، فهو يتمتع بالسلطة المطلقة<sup>3</sup>. ويمكن القول: إن ظهور المدن كان العامل الذي مهد لظهور القصر، غير أن انفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية كان السبب الرئيس والمباشر لظهور القصر.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما التمدن؟ التمدن كما أشرنا سابقاً هو تحول القرى إلى مدن أو ظهور المدن. هذا التعريف البسيط للتمدن يقودنا إلى سؤال آخر: ما التغيرات العمرانية التي ظهرت في منطقة ما ودفعتنا للقول أن هذه المنطقة تحولت من قرية إلى مدينة؟ بحسب دراستي للتمدن وجدت أن السور السميكة الذي يحيط بالمدينة لحمايتها، وبوابات المدينة الضخمة التي تتوزع على هذا السور، والمباني

2 قابلو (جباغ) - سمير (عماد)، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين، سورية، مصر) - جامعة دمشق - 2007-2008، ص 35، 48.

3 المرجع نفسه، ص 48، عبد الحميد (محمود) - مرعي (عبد) - عبد الله (فيصل)، آثار الوطن العربي القديم (العراق، سورية، مصر)، جامعة دمشق، 1998-1999، ص 83.

الحكومية الفخمة التي تدلُّ على وجود سلطة (القصور والمعابد) داخل المدينة، والمنازل الكبيرة التي تتألف من أكثر من طابق في بعض الأحيان، والشوارع العريضة التي تخترق المدينة، والورش التي اكتشفت في بعض المدن، هي من أهم التغيرات التي تؤكد حدوث تحول من المجتمع القروي إلى المجتمع المتمدن وظهور ما يسمى بالتمدن.

إذا كان القصر هو أحد أهم أركان التمدن يحق لنا أن نتساءل ما علاقة القصر بالمحيط الخارجي الذي كان يحوي الأركان الأخرى للتمدن؟ هل كان منعزلاً عن هذا المحيط؟ وإذا لم يكن منعزلاً عنه كيف كان يتواصل معه؟ للإجابة عن هذه الأسئلة يجب علينا بدايةً دراسة المواقع التي بنيت فيها القصور في المدن. بحسب مخططات المدن الشرقية القديمة، يبدو لنا أن القصور لم تُشيد في مكان واحد من هذه المدن، فهناك قصور شيدت في مركز المدينة أو في مكان قريب من المركز، وينطبق ذلك على معظم القصور الرافدية التي بنيت في المدة الممتدة من بداية عهد سلالة أور الثالثة (2112-2004 ق.م) إلى نهاية العصر البابلي القديم (1580-2004 ق.م)<sup>4</sup>، وبعض القصور الشرقية الأخرى التي تقع خارج حدود بلاد الرافدين كقصور إيبلا التي شيدت في عصري البرونز القديم والحديث وقصر قطنا الذي ينتمي إلى عصر البرونز الحديث<sup>5</sup>. أعتقد أن سبب بناء هذه القصور في مراكز المدن هو أهمية المركز مقارنة بالأقسام الأخرى في المدن، فقد كانت الأحياء التي تتركز في قلب المدينة هي الأهم وتضم الأبنية الأكثر أهمية.

على عكس القصور الأخيرة التي شيدت في مركز المدينة، هناك قصور شرقية بنيت في مكان قريب من باب المدينة كقصور أوغاريت وقصر السوية السابعة في

4 Abdulhak (Hassan) L'architecture royale en Mésopotamie à la fin du Bronze Ancien et au Bronze Moyen ( de la période de la Troisième Dynastie d'Ur à l'époque paléobabylonienne), volume I, thèse de doctorat d'archéologie, Lyon, 2010, p. 359.

5 Idem, p. 359.

ألا لاخ وقصر مجيدو<sup>6</sup>. وينطبق ذلك أيضاً على قصر كارني ليم في تل ليلان الذي بُني على مقربة من باب المدينة وسورها الشمالي. إن تشييد القصر الأخير في هكذا موقع يساعد سيد القصر على الدخول إلى قصره مباشرة دون قطع مسافة طويلة<sup>7</sup>. ودراسة موقع قصر أوغاريت الملكي على الطرف الغربي للمدينة مقابل البحر تساعدنا على تحديد أسباب أخرى لبناء بعض القصور الشرقية في مكان بعيد عن مركز المدينة وقريب من الأطراف. إن تشييده في هذه البقعة من المدينة يساعد على مراقبة المرفأ القديم والهيمنة على السهول الخضراء التي تمتد من القصر حتى شاطئ البحر. وبفضل هذا الموقع يستطيع القصر امتلاك إطلالة جميلة على البساتين الخضراء القريبة منه ومراقبة المدخل الغربي للمدينة<sup>8</sup>. قصر أوغاريت الأخران بنيا في الحي نفسه الذي شُيد فيه القصر الملكي. هذه الميزة تتكرر في قصور الساحل السوري الأخرى في رأس ابن هاني إذ إنَّ القصر الشمالي والغربي بنيا في مواقع بعيدة جداً عن المركز<sup>9</sup>.

لم تكن القصور مستقلة عن الأبنية الأخرى في المدينة، بل كان يوجد إلى جانبها أبنية لها أهميتها في حياة المدينة كالمعابد على سبيل المثال<sup>10</sup>. وتظهر هذه الميزة بشكل واضح في القصور الرافدية التي بنيت في المدة الممتدة من عهد سلالة أور الثالثة إلى نهاية العصر البابلي القديم، إذ إنَّ هذه المباني الضخمة كانت تتركز في

6 Idem, p. 359.

7 Idem, p. 359.

8 Callot (Olivier) «Les techniques architecturales», in M. Al-Maqdissi et V. Matoian (éds), L'Orient des palais, le palais royal d'Ougarit au bronze récent, Document d'archéologie Syrienne XV, Direction générale des antiquités et des musées, Damas, 2008, p.44, Margueron (Jean.-Claude) «Le palais d'Ougarit», in M. Al-Maqdissi et V. Matoian (éds) L'Orient des palais, le palais royal d'Ougarit au bronze récent, Document d'archéologie Syrienne XV, Direction générale des antiquités et des musées, Damas, 2008, p. 49.

9 Abdulhak, op. cit., p. 359-360.

10 Miglus (Peter) «Palast. B. Archäologisch» Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie, volume 10, fascicule 3/4, Walter de Gruyter, Berlin & New York, 2003-2005, p. 23.

أحياء قريبة من تلك التي تضم المعابد. وتكرر هذه السمة في قصور شرقية أخرى كالقصر الشمالي في إيبلا الذي شُيّد في شمالي غربي المدينة على مقربة من معبد عشتار. يذكرنا ذلك بقصر تل الرماح الرافدي الذي بُني على مقربة من معبد مخصص لعبادة الربة نفسها، ويدلُّ ذلك على أهمية هذه الإلهة في الحياة الملكية في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم<sup>11</sup>.

هناك قصور أخرى كانت ملاصقة للمعبد الذي يقع على مقربة منها كما هو الحال في قصر السوية الأولى الأموري في تل أسمر<sup>12</sup> وقصر السوية السابعة في الألاخ<sup>13</sup>. ومن خلال دراسة مخطط قصر تل أسمر يتبين أن هذا المبنى كان له بوابة تفضي إلى المعبد<sup>14</sup>، في حين أن القصور الشرقية الأخرى لم تمتلك هذه السمة المعمارية، ففي أغلب الأحيان كان يوجد بين القصر والمعبد مسافة تفصل بينهما. ويظهر ذلك بشكل جلي في قصر ماري الكبير، حيث أنشئ شارع كبير بين القصر وحي المعابد، يربط القصر بمنطقة المعابد المقدسة، ويقود في الوقت نفسه إلى أحد أبواب المدينة<sup>15</sup>.

وخلال المراحل اللاحقة من تاريخ قصر تل أسمر اختفى المعبد الذي كان ملاصقاً للقصر، حيث وُسِّع القصر وأصبح المعبد جزءاً منه وتحولت وظيفته من دينية إلى وظيفة أخرى<sup>16</sup>. وفي العصور الأحدث من تاريخ تل أسمر بنى حكام تلك المنطقة

11 Abdulhak, op. cit., p. 360.

12 Frankfort (Henri)-Lloyd (Seton)-Jacobsen (Thorkild) The Gimilsin temple and the palace of the rulers at tell Asmar, the University of Chicago, oriental institute publications, volume XLIII, Chicago, Illinois, 1940, p. 27.

13 Wolley (Charles Leonard) Alalakh, An Account of the Excavations at Tell Atchana in the Hatay, 1937-1949, Printed at the University Press by Charles Batey for the Society of Antiquaries, Burlington House, London. , 1955, p.61.

14 Miglus, op. cit., p. 223.

15 Abdulhak, op. cit., p. 290.

16 Reichel (Clemens Daniel) Political Changes and Cultural Continuity in the Palace of the Rulers at Eshnunna Ttell Asmar) from the Ur III Period to the Isin-Larsa Period (C.A 2070 -1850 B.C.), volume I, Chicago, Illinois, 2001, p. 70.

أبنية ملكية مدنية ليس لها وظيفة دينية (البناء الغربي وردده نارام سين)، وبذلك، وعلى عكس معظم المدن الشرقية القديمة، أصبح قلب المدينة خالياً من الأبنية الدينية: لا يوجد إلا الأبنية المدنية الملكية<sup>17</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا بُنيت المعابد إلى جوار القصور أو ملاصقة لها؟ أعتقد أن الإيديولوجية التي تبنتها الأمم السابقة هي السبب الرئيس الذي دفعهم إلى تخطيط المدن بهذا الشكل. كما هو معروف الآلهة كانت تشكل جزءاً من الحياة السياسية للقصور في تلك المرحلة، قصر ماري الكبير يقدم أدلة واضحة على ذلك: بحسب لوحة التنصيب التي كانت توجد على أحد جدران الساحة 106 من القصر، الربة عشتار تمنح السلطة لملك ماري، هذا يدل على وجود علاقة قوية بين الحياة السياسية والحياة الدينية<sup>18</sup>. وعلى ذلك، من غير المستغرب بناء القصر على مقربة من المعبد (بيت الإله) كأغلب القصور الشرقية، أو بناء قسم ديني داخل القصر كما هو الحال في قصر ماري الكبير، فذلك كله يدعم سلطة الملك. فضلاً عن دور الآلهة في تثبيت دعائم حكم الملك كانت تجلب السلام والازدهار لبلده. هذا الدور الجوهرى الذي كانت تؤديه الآلهة يوضح لنا سبب بناء المعابد على مقربة من القصور. وهناك سبب آخر دفع القدماء لبناء هذه الأوابد على مقربة من بعضها بعضاً: كان يجب على الملك زيارة المعبد بشكل مستمر<sup>19</sup>، وقوع المعبد على مقربة من القصر يساعد الملك في زيارة هذا المبنى بسهولة و في أي وقت.

وبذلك نستطيع القول: إنَّ القصر لم يكن منعزلاً عن المحيط الخارجى، فكما رأينا كان على علاقة قوية مع الحي المقدس الذي يضم معبداً أو معابد المدينة. وبالنسبة إلى طريقة الاتصال مع العالم الخارجى، كان القصر يمتلك بوابة أو عدة

17Abdulhak, op. cit., p. 290.

18 Idem, 289.

19 Joannès (Francis) Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne, coll. "Bouquins", Robert Laffont, Paris, 2001, p. 101.

بوابات لها وظائف مختلفة، تؤمن الاتصال مع المحيط الخارجي. إن البوابة الرئيسية للقصر كانت تقود إلى القسم العام في القصر الذي كان يضم قسم الاستقبال والقسم الإداري والقسم الرسمي، ومن القسم الرسمي يمكن الدخول إلى القسم الخاص الذي يحوي بيت الملك<sup>20</sup>. وكانت الشخصيات المهمة تدخل من هذه البوابة إلى داخل القصر: الملوك والسفراء والعائلة الملكية<sup>21</sup> والموظفون الإداريون والوزير الأول<sup>22</sup>.

وهناك قصور كانت لها بوابات أخرى ثانوية لا تؤدي -في أغلب الأحيان- الدور نفسه الذي كان يؤديه الباب الرئيس. ومن هذه القصور قصر تل أسمر الأموري الذي كان له -فضلاً عن الباب الرئيس- ثلاثة أبواب أخرى مخصصة لوظائف مختلفة. اثنان من هذه الأبواب أديا دوراً مهماً في حياة القصر. الباب الشرقي يقود إلى المعبد الذي اندمج في القصر في مرحلة متأخرة من تاريخ القصر وأصبح جزءاً منه وتغيرت وظيفته. وبالنسبة إلى الباب الثاني الغربي، كان يؤمن الدخول إلى القسم الغربي من القصر (المعبد الصغير) الذي تحول إلى قسم اقتصادي في مرحلة أخرى من تاريخ القصر<sup>23</sup>. وتتكرر هذه السمة المعمارية (تعدد الأبواب) في قصر ماري الكبير وفي قصر توتول. البابان الثانويان في قصر ماري كانا يقودان إلى المخزن العام والقسم الديني والقسم الاقتصادي، أمّا في قصر توتول فكان الباب الثانوي الوحيد لا يقود إلى أقسام دينية أو اقتصادية بل إلى القسم الرسمي<sup>24</sup>.

وبحسب هذا العرض للأبواب الثانوية في القصور نلاحظ أن كثير منها كان له دور اقتصادي، فمنها كانت تدخل الحيوانات المحملة بالسلع المختلفة متجهة إلى المخازن في القصور لتضع حمولتها هناك التي كانت تتكون من مواد غذائية مختلفة

20 Abdulhak., op. cit., p. 300.

21 Idem, p. 300.

22 Durand (Jean-Mari) « L'organisation de l'espace dans le palais de Mari », le système palatial en orient, en Grèce et à Rome, Actes du colloque de Strasbourg 19-22 juin 1985. Université des Sciences Humaines de Strasbourg, 1987, p. 44.

23 Abdulhak, op. cit., p. 301.

24 Idem, p. 301-302.



يستهلكها سكان القصر. ونستطيع القول: إنّه لا يتناسب مع العظمة الملكية إدخال هذه الحيوانات من الباب نفسه الذي تدخل منه الشخصيات المهمة والعائلة الملكية إلى القصر (الباب الرئيس)، لذلك أنشئت أبواب رئيسة وأبواب ثانوية للقصور، ولكل منها وظيفته<sup>25</sup>.

وبحسب بعض النصوص المتعلقة بقصر ماري الملكي، كانت أبواب القصر تغلق ليلاً وفي بعض ساعات النهار وبشكل خاص في وقت القيلولة<sup>26</sup>. ربما تبنت القصور الشرقية الأخرى نظاماً مماثلاً لنظام قصر ماري في إغلاق أبوابها.

نستطيع الاستنتاج أن القصر كان على اتصال دائم مع المحيط الخارجي ويتفاعل معه من خلال بواباته المتعددة لكي يؤمن دخول مختلف الشخصيات المهمة وخروجها وجلب المواد التموينية التي يفتت عليها سكانه. ولكن نسأل أنفسنا: هل العالم الخارجي للقصر كان يجلب فقط ما هو في منفعة القصر؟ من المعروف أن الأمم القديمة كانت تشن الحروب ضد بعضها بعضاً، لذلك يمكن القول: إنّه لا يأتي من المحيط الخارجي للقصر ما هو في منفعته فقط بل كان القصر مهدداً بغزوات تأتي من الخارج بهدف نهبه وتدميره وتحطيم القوة السياسية للمملكة التي تدار منه. ولهذا السبب بنى القدماء أسواراً لهذه القصور بهدف حمايتها من الاعتداءات الخارجية<sup>27</sup> وفصل العالم الداخلي للقصر عن العالم الخارجي. وكانت هذه الأسوار سميكة جداً، أسمك بكثير من الجدران الداخلية للقصور، ففي قصر أوروك عثر المنقبون على أساسات الأسوار التي تقدر سماكتها من 7 إلى 9 م<sup>28</sup>.

25 Idem, p. 124.

26 Margueron (Jean-Claude), Mari - Métropole de l'Euphrate. Editions Picard et ERC, Paris, 2004, p. 492.

27 Aurenche (Olivier) Dictionnaire illustré multilingue de l'architecture du proche orient, Collection de la maison de l'Orient méditerranéen ancien n° 3, série archéologique, 2, Institut français de Beyrouth (Liban), Lyon, Maison de l'Orient; 1977, p. 79.

28 Abdulkhak, op. cit., p. 294.

### العوامل المؤثرة في حجم القصر والعلاقة بين مساحته و أهميته

قبل أن نتكلم عن حجم القصر الشرقي بشكل تفصيلي سنقدم الجدول الآتية الذي يتضمن المعطيات التي تتعلق بحجم القصور الشرقية في سورية والعراق<sup>29</sup>:

القصر	الحجم
قصر أور	م 59 × 59 = 3481 م <sup>2</sup>
القصر الكبير في ماري	م 180 × 150 = 27000 م <sup>2</sup>
القصر الصغير في ماري	؟
قصر A في توتول (السوية الأولى والثانية)	م 53 × 47 = 2491 م <sup>2</sup>
قصر E في إيبلا	؟
قصر السوية الخامسة في تل أسمر	م 100 × 115 = 11500 م <sup>2</sup>
قصر لارسا	م 4700
قصر أوروك	م 140 × 110 = 15400 م <sup>2</sup>
القصر القديم في آشور	م 100 × 110 = 11000 م <sup>2</sup>
قصر سامسي أدو في تل ليلان	م 1000
قصر السوية السابعة في الألاخ	م 96 × 25 أو 30 = 1925 م <sup>2</sup>
قصر Q في إيبلا	م 65 × 115 = 7800 م <sup>2</sup>
القصر الشمالي في إيبلا	م 63 × 63 = 3969 م <sup>2</sup>
تيلمين هويوك	م 40 × 40 = 1600 م <sup>2</sup>

29 Idem, p. 356-357.

قصر تل الرماح	2م1000
قصر كارني ليم في تل ليلان	2م 300
قصر قطنا	2م9900 = 110 × م 90
قصر السويدية الرابعة الألاخ	2م 1925 = 100 × م 30
القصر الجنوبي في رأس ابن هاني	2م 9000 = 100 × م 90
القصر الشمالي في رأس ابن هاني	2م 1500
القصر الشمالي في أوغاريت	1600 = 40 × م 40
القصر الجنوبي في أوغاريت	2م 1400 = 40 × م 35
القصر الملكي في أوغاريت	2م 6500 = 85 × م 75
قصر إيمار	2م 418,5 = 15,5 × م 27

بحسب هذا الجدول، هناك تقارب بين بعض القصور الشرقية في المساحة كقصر كارني ليم و قصر إيمار، وتتميز مساحة هذين القصرين بأنها أصغر من مساحة القصور الأخرى. الشيء نفسه ينطبق على قصر تيلمين هويوك وقصر أوغاريت الشمالي، إذ بلغت مساحة كلا القصرين 2م1600، إنها قريبة من مساحة قصر أوغاريت الجنوبي التي لا تتجاوز 2م1400. يتكرر التشابه بين قصر سامسي أدو في تل ليلان وقصر تل الرماح اللذين بلغ كل منهما 2م1000، غير أن مساحة هذين القصرين ليست حقيقية لأنهما غير منقبين بشكل كامل و على الأغلب مساحتهما أكبر من ذلك. العديد من القصور الشرقية الأخرى تتشابه في المساحة كالقصر الشمالي في رأس ابن هاني وقصر تيلمين هويوك: 2م100 الفرق بين مساحة الاثنين. وبمقارنة هذه القصور ببعضها بعضاً نلاحظ أن هناك اختلافات كبيرة في المساحة بين عدد كبير منها. قصر ماري الكبير الذي بلغ 27000م يُعدُّ أكبر قصر

شرقي في عصر البرونز، ولا يوجد أي قصر شرقي آخر مساحته مماثلة لمساحته. هناك أسباب كثيرة دفعت ملوك ماري إلى بناء قصر بهذا الحجم، ومن أهم هذه الأسباب حاجة سكان القصر لمبنى كبير مؤلف من عدة أقسام مخصصة لوظائف مختلفة<sup>30</sup>. الدراسة المعمارية لهذا القصر ساعدت على إثبات بعض الوظائف التي لم نجدها في قصور أخرى، فعلى سبيل المثال أُثبتَ قسمان للخدم في قصر ماري، باستثناء قصر آشور القديم لم يستطع الباحثون إثبات الوظيفة نفسها في قصور شرقية أخرى لأن المعطيات المعمارية والمكتشفات الأثرية لم تساعد على تحقيق ذلك<sup>31</sup>. هذا لا ينفي وجود قسم للخدم في القصور الأخرى، ربما كان يوجد قسم مخصص لهذه الوظيفة في هذه القصور، لكن حجمه لم يصل -على الأغلب- إلى حجم الأقسام التي كانت تؤدي الدور نفسه في قصر ماري. فضلاً عن ذلك، قصر ماري الكبير يضم ساحتين كبيرتين (131 و106)، غير أن القصور الأخرى -بحسب المخطط التقليدي للقصور الشرقية- لا تضم إلا ساحة واحدة كبيرة تقع في مركز القصر<sup>32</sup>. من جهة أخرى، القصر الملكي في ماري كان يحوي قسماً يسمى بيت النساء، يتألف من وحدتين معماريتين، إلا أن القصور الأخرى لم يكن فيها قسم مخصص للوظيفة نفسها<sup>33</sup>.

وبالبحث عن العوامل التي ساعدت ملوك ماري على بناء قصر بهذا الحجم وجدت أن التقدم الاقتصادي<sup>34</sup> الذي عرفته مملكة ماري كان أحد أهم العوامل التي

30 Postagte (Necholas) « The nature of the ancient Near Eastern palace », *Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie*, volume 10, fascicule 3/4, 2003-2005, p. 196.

31Abdulhak, op. cit., p. 358.

32 Idem, p. 358.

33 Idem, p. 358.

34 Pfälzner (Peter) « Archaeological investigations in the royal palace of Qatna », in D. Morandi Bonacossi (éd), *Urban and Natural Landscapes of an Ancient Syrian Capital, Settlement and Environment at Tell Mishrifeh/Qatna in Central-Western Syria*, Udiné, (= SAQ 1, DAS XII), 2007, p. 40.

ساعدت على ذلك، فمن المعروف أن مدينة ماري كانت تقع على الحدود بين بلاد الرافدين وسورية، وأدت دور الوسيط التجاري بين المنطقتين، وكانت تتاجر مع مناطق أخرى فأصبحت ثراءً كبيراً<sup>35</sup>، انعكس على الأعمال العمرانية فيها (قصور ومعابد). ويظهر الأثر الاقتصادي في العمران في ثل أسمر أيضاً، فمن خلال دراسة مخطط القصر الأموري في مختلف سوياته نلاحظ أن هناك اختلافاً كبيراً بين قصر بيلالاما والقصر الذي تلاه (قصر أزوزوم). قصر بيلالاما كان أكبر بكثير من قصر أزوزوم، والسبب في ذلك أن إشنونا تعرضت لأزمة اقتصادية في عهد أزوزوم وهُجِرَ أحد أقسام القصر ونقل حجمه، ولم يكن بالإمكان القيام بأعمال عمرانية جديدة لتطوير القصر وتوسعته<sup>36</sup>. وكان للعامل السياسي دور في تطوير القصور، ففي عصر البرونز الوسيط أدت ماري دوراً سياسياً مهماً وأصبح لها مكانة مرموقة على المسرح السياسي<sup>37</sup>، وكان يجب على ملوكها تشييد قصر كبير يتناسب والعظمة الملكية لملوك ماري ومع دورها السياسي.

إذا كان الدور السياسي الذي كانت تؤديه ماري هو أحد أهم الأسباب التي دفعت ملوكها لبناء قصر بهذا الحجم الكبير لماذا لم تُشيد مملكة أور الثالثة - في مرحلة سابقة لعصر ماري<sup>38</sup> - قصراً كبيراً يتناسب وحجمها السياسي؟ فهي كما هو معروف كانت تؤدي دوراً سياسياً كبيراً وكانت تسيطر على مناطق واسعة في الجنوب والشمال الرافدي، وكان مؤسسها (أورنامو) يطلق على نفسه لقب الملك القوي وملك سومر وأكاد<sup>39</sup>. لكي نقدم إجابة عن هذا السؤال علينا معرفة المرحلة الزمنية التي عاشها كل قصر على حدة. بالنسبة إلى قصر أور، بحسب اللين الذي نُقش عليه

35 قابلو - سمير، المرجع السابق، ص 234.

36Abdulhak, op. cit., p. 68.

37 قابلو - سمير، المرجع السابق، 229-232.

38 أقصد بذلك المرحلة الزمنية التي وصل فيها القصر إلى أكبر حجم له (القرن الثامن عشر ق.م).

39 قابلو - سمير، المرجع السابق، ص 69.

أسماء الملوك الذين شيّدوا هذا القصر<sup>40</sup> يظهر لنا أن أورنامو هو الذي بدأ بتشييد هذا القصر ولكنه مات قبل أن يكمله. وخلفه ابنه شولجي الذي أتمه لاحقاً. ولا يقدم القصر أدلة تثبت قيام أحد خلفاء شولجي بالسكن داخله أو إجراء تعديلات عليه. هذا يعني أن بناء هذا القصر واستخدامه تركز خلال مرحلة حكم أورنامو وشولجي التي امتدت قرابة 64 عاماً<sup>41</sup>. وأمّا قصر ماري الملكي فقد بُني في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م. ودُمّر على يد حمورابي البابلي في 1760 ق.م.<sup>42</sup> نستطيع القول: إنّ قصر ماري عاش قرابة القرنين ونصف، وبحسب دراستي لهذا القصر ظلت الحياة مستمرة فيه خلال هذه المرحلة دون انقطاع باستثناء بعض المدد القصيرة التي جرى خلالها القيام ببعض أعمال الترميم والإصلاح<sup>43</sup>. وخلال هذه الحقبة الطويلة تعاقب على حكم ماري عدد من السلالات الملكية، وكانت هذه السلالات تتخذ من القصر مقراً لها. وقام بعض الملوك الذين ينتمون إلى هذه السلالات بإجراء تعديلات داخل القصر وبتوسيعه بإضافة أقسام جديدة إليه<sup>44</sup>. وبذلك يمكن القول: إنّ توسيع القصر في بعض المراحل كان العامل الرئيس في تكوين قصر بهذا الحجم. والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يتطور قصر أور بالطريقة نفسها؟ أشرنا سابقاً أن قصر أور لم يعيش مدة طويلة مقارنة بقصر ماري، ولم تكن مدة حياته كافية للقيام بتوسيعه. وأمّا قصر ماري الملكي فقد كانت مدة حياته الطويلة كافية لإضافة أجزاء جديدة إليه. فضلاً عن ذلك، لم تُحكم أور في مدة سلالتها الثالثة إلا من قبل هذه السلالة، أمّا ماري فقد حُكمت من قبل الشاكاناكو<sup>45</sup>، واستلم الحكم فيها لاحقاً عدد من السلالات الأمورية التي استخدمت

40 Abdulhak, op. cit., p. 32.

41 قابلو - سمير، المرجع السابق، ص 67.

42 Abdulhak, op. cit., p. 123.

43 Margueron, Mari - Métropole de l'Euphrate, op. cit., p. 350.

44 Idem, p. 469.

45 هم الذين شيّدوا قصر ماري بداية الأمر، و شهد هذا المبنى تحولات معمارية كبيرة لاحقاً. قابلو - سمير، المرجع السابق، ص 229.

القصر نفسه<sup>46</sup>. وخلال حكم هذه السلالات تعاقب عدد كبير من الملوك على حكم ماري، فمنهم من كان لديه رغبة في توسيع المبنى (القسمان الجنوبي والشرقي)<sup>47</sup> وإجراء تغييرات في داخله، و كانت الظروف الاقتصادية<sup>48</sup> خلال مدة حكمهم موالية لذلك، ما أدى إلى اتساع المساحة التي يغطيها القصر.

ومع أن قصر ماري الملكي كان أكبر القصور الشرقية إلا أنه توجد قصور شرقية أخرى ذات حجم كبير وملفت للنظر، لكنها لم تصل إلى حجم قصر ماري، وكانت أغلب هذه القصور تؤدي دوراً في الحياة الملكية و مخصصة للملوك الذين كانوا يديرون شؤون دولهم، فمن غير المستغرب إذاً بناء قصور كبيرة، فهي تتيح الفرصة لإظهار العظمة الملكية من جهة، ومن جهة أخرى عدد القطاعات في القصور الملكية الرئيسية يكون أكبر من عدد القطاعات في القصور الثانوية التي لم ترتق بوظيفتها إلى وظيفة القصور الملكية الكبيرة كقصر أوغاريت الملكي. هذا القصر كان بيتاً للعائلة الحاكمة وأقربائها ومركزاً سياسياً لإدارة شؤون المملكة<sup>49</sup>. إن هذه الوظائف تحتاج إلى أقسام كثيرة ومساحة كبيرة. ولكن إذا عدنا للجدول نلاحظ أن مساحة قصر أوغاريت الملكي كانت أصغر بكثير من قصور أخرى (قصر السوية الخامسة في تل أسمر وقصر أوروك وقصر آشور القديم) ومع دوره الجوهري في حياة مملكة أوغاريت. أعتقد أن السبب في ذلك هو تشييد قصرين إلى جانب القصر الملكي في أوغاريت وقصرين آخرين في رأس ابن هاني الذي كان يتبع لمدينة أوغاريت. كانت هذه القصور مخصصة لأفراد من العائلة الحاكمة في أوغاريت. إن

46 المرجع نفسه، ص 232-233.

47 Margueron, Mari - Métropole de l'Euphrate, op. cit., p. 372.

48 إن أعمال توسيع المبنى أو بناء أبنية جديدة تحتاج إلى رخاء اقتصادي، فمن دون ذلك لا يمكن القيام بهذه الأعمال، و قد يتوفر المال في عهد ملك و لا يتوفر في عهد ملك آخر، لذلك نلاحظ أن ملكاً من الملوك قام بأعمال عمرانية و لم يحدث ذلك في عهد ملك آخر.

49 Callot , op. cit., p. 44.

إقامة هؤلاء في هذه القصور سيخفف الضغط عن القصر الملكي الكبير، ويقود ذلك للاعتقاد أن الأوغاريته لم يشيدوا قصرهم الملكي على مساحة أكبر مما كانت عليه (26500م<sup>2</sup>) لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى قصر أكبر من ذلك. و من خلال دراستي لموقع أوروك<sup>50</sup> تبيّن أنه لا يضم إلا قصرًا واحدًا، لهذا السبب اضطر القدماء لإعطاء هذا القصر حجمًا كبيراً يفي بالغرض ويتناسب وعدد السكان الذين كانوا يقيمون فيه. وبالنسبة إلى مدينة آشور، في المرحلة التي بني فيها القصر (نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو بداية القرن السابع عشر<sup>51</sup>) لم يكن يوجد في المدينة إلا هذا القصر<sup>52</sup>، ويمكن القول إذاً: إنَّ القصر الآشوري القديم بني بهذا الحجم الكبير للسبب نفسه الذي بني من أجله قصر أوروك. و ينطبق ذلك على قصر السوية الخامسة في تل أسمر.

### الوظيفة السياسية للقصور الشرقية

كان القصر الشرقي يؤدي دوراً سياسياً جوهرياً في حياة الممالك في الشرق الأدنى القديم، ففي داخله شُيِّدَ القسم الرسمي الذي كان مخصصاً لهذه الوظيفة. وتتميز صالات القسم الرسمي بحجمها الكبير، فهي أكبر بكثير من الصالات الأخرى التي كانت تنتمي إلى أقسام مخصصة لوظائف أخرى في القصور<sup>53</sup>.

وبحسب مخططات القصور الشرقية يظهر أن مناطق الشرق الأدنى القديم لم تتبنَ من الناحية المعمارية مخططاً موحداً في القسم الرسمي، ففي بلاد الرافدين كان القسم الرسمي (الشكل 1) يتألف من ساحة مركزية، مربعة الشكل، محاطة من ثلاث جهات بعدد من الغرف الصغيرة، وعلى طول الجهة الرابعة توجد صالة كبيرة مستطيلة الشكل، ويمكن الدخول إليها من الساحة المربعة عبر بوابة كبيرة مبنية في منتصف الجدار الذي يفصل بينهما. تضم هذه الصالة الكبيرة عدداً من الأبواب،

50 Joannès; op. cit., 894.

51 Abdulkhak, op. cit., p. 189.

52 Joannès; op. cit., p. 100-101.

53 Abdulkhak, op. cit., p. 369.



موزعة على بقية جدرانها تسمح بالدخول إلى الغرف التي تحيط بها، ولعل أهمها ذلك الذي يفضي إلى صالة أخرى، كبيرة مستطيلة الشكل، موازية للصالة الأولى<sup>54</sup>.

القصور الشرقية الأخرى تحوي قسماً رسمياً يختلف مخططه عن المخطط السابق في القصور الرافدية، ومن هذه القصور القصر الغربي والقصر الشمالي في إيبلا، قصر السوية السابعة الملكي وقصر السوية الرابعة في الألاخ. وقد بُني القسم الرسمي في هذه القصور وفق المخطط الآتي (الشكل 2): ساحة مركزية تقود إلى صالة العرش عبر غرفة أو عدة غرف وسيطة تقع بينهما. تتميز صالة العرش بحجمها الكبير وبشكلها المستطيل، وكانت -في بعض الأحيان- مقسومة إلى قسمين من خلال رواق، محاطة بمجموعتين جانبيتين من الغرف، كل مجموعة تتألف من غرفتين أو ثلاث غرف<sup>55</sup>.

وبإلقاء نظرة على عدد من مخططات القصور الشرقية الأخرى (قصر أوغاريت الملكي و قصر قطنا) نلاحظ أن القسم الرسمي بُني بطريقة مختلفة، لكنه يتشابه في بعض النقاط مع القسم الرسمي في قصور أخرى. القسم الرسمي في القصرين الأخيرين يتألف من ثلاث قطع رئيسية: ساحة مركزية، مربعة الشكل في قصر قطنا (الشكل 3) ومستطيلة في قصر أوغاريت الملكي، محاطة بعدد من الغرف. ومن هذه الساحة يمكن الدخول إلى الصالة الكبيرة الأولى في القسم الرسمي باجتياز ردهة (قصر أوغاريت الملكي) أو مباشرة عبر بوابة تربط بين الطرفين (قصر قطنا). ومن الصالة الكبيرة الأولى يمكن الدخول إلى الصالة الكبيرة الثانية مباشرة (قصر قطنا) أو باجتياز الردهة نفسها التي تؤدي إلى الصالة الكبيرة الأولى (قصر أوغاريت الملكي)<sup>56</sup>.

54 Idem, p. 307.

55 Idem, p. 369.

56 Abdulhak, op. cit., p. 369.

ومن خلال المقارنة بين الأقسام الرسمية في القصور الشرقية نستنتج أن هناك اختلافات وتشابهات بين هذه الأقسام فيما يتعلق بعدد قطعها الرئيسية وحجمها وتنظيمها الداخلي. القسم الرسمي في القصور الرافدية وفي قصر أوغاريت الملكي وفي قصر قطنا يتألف من ثلاثة فضاءات رئيسية: الساحة المركزية والصالتان الكبيرتان، في حين يتألف القسم الرسمي في قصر السوية السابعة في ألالاخ و في قصري إيبلا (الغربي والشمالي) من فضاءين رئيسيين: الساحة المركزية وصالة العرش<sup>57</sup>. وهناك اختلاف في مساحة الصالات التي تشكل القسم الرسمي، فعلى سبيل المثال يبلغ حجم الصالة A (الصالة الثانية الكبرى) في القسم الرسمي في قصر قطنا 820 م<sup>2</sup>، لا تضم الأقسام الرسمية في قصور أخرى صالة بالمساحة نفسها<sup>58</sup>.

وبدراستنا للقسم الرسمي يجب علينا تقديم صورة واضحة عنه وعن ترتيباته الداخلية بالاعتماد على مكتشفاته الأثرية ومعطياته المعمارية. إن قلّة المكتشفات الأثرية وتهدم أجزاء كبيرة من القصر تعيق تقديم صورة متكاملة عن القسم الرسمي. ومن أهم الأشياء التي اكتشفت في الأقسام الرسمية في قصور بلاد الرافدين: منصات للعرش وديكور ومقاعد وقبور ملكية وبقايا مظلة عرش<sup>59</sup>. عُثر على أشياء مماثلة في القصور الواقعة خارج بلاد الرافدين، ففي الواجهة الشرقية لصالة العرش (L.4038) في قصر إيبلا الشمالي توجد منصة<sup>60</sup>، على الأغلب كانت هذه المنصة قاعدة للكرسي الذي كان يجلس عليه الملك. واكتشفت منصة من اللبن في الصالة O في قصر توتول وقاعدة حجرية كبيرة في الصالة 65 في قصر ماري الملكي (الشكل 4)، من المؤكد أنهما كانتا مخصصتين للوظيفة نفسها. وبحسب المعطيات المعمارية لقصر ماري الملكي أعتقد أنه كانت توجد فوق عرش الملك مظلة تحميه، والدليل على ذلك وجود

57 Idem, p. 372.

58 Pfälzner, op. cit., p. 33.

59 Abdulhak, op. cit., p. 313-315.

60 Idem, p. 373.

تقوب في الجدار الذي يرتكز عليه العرش (الشكل4)، على ارتفاع 1,75 م فوق قاعدة العرش في الصالة 65 في قصر ماري الكبير<sup>61</sup>، على الأرجح هذه النقوب كانت تستخدم لتثبيت المظلة فوق كرسي الملك. ويعتقد مرجرون<sup>62</sup> أن هذه السمة المعمارية تتكرر في قصر أوغاريت الملكي، ويبني اعتقاده هذا على وجود علامات لبعض دعائم مظلة العرش على الجدار الجنوبي لصالة العرش.

وضمنت بعض صالات العرش مقاعد، ربما كانت مخصصة للضيوف الذين كانوا يزورون الملك. عُثر على أجزاء من هذه المقاعد على امتداد الواجهتين الطويلتين في الصالة O في قصر توتول<sup>63</sup>. ويُعتقد أن صالة العرش في قصر أوغاريت الملكي كانت تضم هي الأخرى مقاعد مماثلة على يمين العرش ويساره الذي كان يوجد أمام الجدار الجنوبي للصالة<sup>64</sup>.

ومن خلال التنقيب الأثري تبين أن بعض القصور الشرقية كانت مزينة بديكورات مختلفة، ومن أهمها اللوحات الجدارية، ففي الساحة 106 التي تنتمي إلى القسم الرسمي في قصر ماري الملكي عثر المنقبون على بقايا بعض اللوحات الجدارية التي كانت تزين أحد الجدران وتجسد موضوعات دينية وسياسية<sup>65</sup>. وفي صالة العرش 5 في قصر السوية السابعة في ألالاخ كانت توجد بعض التزيينات على أحد الجدران، وهي عبارة عن زخارف هندسية ملونة بثلاثة ألوان (أصفر وبيج وأسود)<sup>66</sup>.

61 Parrot ( André), Mission archéologiques de Mari, volume II le palais, tome I Architecture, Institut Français d'Archéologie de Beyrouth. Bibliothèque Archéologique et Historique, tome LXVIII, Paris, Librairie orientaliste. 1958, p. 120.

62 Margueron (Jean-Claude) " Le Palais royal d'Ougarit ", in Ras Shamra-Ougarit XI, ERC-ADPF, Paris, 1995, p. 189.

63 Abdulhak , op. cit., 180.

64 Margueron, Le Palais royal d'Ougarit, op. cit., p. 189.

65 Parrot, op. cit., p. 86, Abdulhak, op. cit., p. 394 – 395.

66 Pierre (Beatrice) «Décor peint à Mari et au proche - Orient», M.A.R.I. 5, 1987, p. 551, Wolley, op. cit., p. 92.

هذه الزخارف تذكرنا بزخارف مماثلة في الساحة 106 في قصر ماري الملكي، لكنها لونت بألوان مختلفة: أزرق وأحمر<sup>67</sup>.

وضم القسم الرسمي في عدد من القصور قبوراً ملكية تركزت تحت الصالات الكبرى لهذا القسم. ومن الأمثلة عليها ذلك القبر الذي بُني تحت صالة العرش في قصر ماري الصغير (الشكل 5)، ويتألف هذا الضريح من عدة غرف مخصصة لدفن أفراد من العائلة الحاكمة. باستثناء الردهة الكبيرة Q في قصر توتول لم تقدم الأقسام الرسمية في القصور الشرقية اكتشافات مماثلة<sup>68</sup>. إن وجود هذه الأضرحة هنا دليل واضح على أن القسم الرسمي كان يؤدي دوراً جنائزياً فضلاً عن دوره السياسي، ويظهر هذا الدور في بعض الاحتفالات التي تقوم على أساس تقديس أرواح الأجداد من العائلة الملكية.

وتعدُّ صالة العرش أهم صالة في القسم الرسمي التي كانت مخصصة لاستقبال الأشخاص المهمين الذين كانوا يزورون الملك كالسفراء الذين يأتيون من المدن الكبرى الأخرى، وكان الملك يقيم فيها المأدبة الملكية<sup>69</sup>.

### القصر الملكي بيت للملك

قدم الباحثون العديد من الدراسات التي تتناول القصور، ومعظم هذه الدراسات ترى أن القصور الملكية كانت تضم قسماً مخصصاً لإقامة الملك وعائلته<sup>70</sup>. وبحسب التنقيب الأثري هناك كثير من الأدلة التي تدعم وجود بيت للملك داخل القصر. ومن أهم الأدلة على ذلك العثور على أشياء تُستخدم في الحياة المنزلية اليومية كالأفران التي اكتشفت في قصري ماري (الشكل 6) وفي قصر السوية الثالثة في تل أسمر، والتنانير التي عثر عليها المنقبون في السوية الأولى والثانية في قصر توتول.

67 Margueron, Mari - Métropole de l'Euphrate, op. cit, p. 462.

68 Abdulkhak, op. cit., p. 308.

69 Idem, p. 313.

70 Miglus, op. cit., p. 236, Postgate, op. cit., p. 197.

وقد كانت هذه الأفران والتنانير مخصصة لصناعة الخبز والحلويات وأطعمة أخرى. و عُثر على ترتيبات مشابهة في قصر E في إيبلا والقصر الشمالي في رأس ابن هاني<sup>71</sup>، مما يدل على وجود أقسام مماثلة في هذين القصرين.

وتقدم القصور الشرقية (القصر الملكي والقصر الشرقي في ماري وقصر تل الرماح وقصر أوروك وقصر السوية السابعة في الألاخ والقصر الشمالي في رأس ابن هاني والقصر الشمالي في أوغاريت<sup>72</sup>) أدلة أثرية أخرى تثبت وجود بيت للملك داخل القصر، ومن هذه الأدلة بقايا المراحيض والحمامات (أحواض مائية ومواقد لتسخين المياه في الحمامات وأنظمة تصريف للمياه المستعملة: قنوات ومصارف الخ) التي كانت تتوزع في أرجاء مختلفة من المبنى.

ومع وجود قسم مخصص لإقامة العائلة الملكية في أغلب القصور الشرقية، إلا أنه لا يمكن أن نسلم بوجود هذا القسم في القصور الشرقية كلها، فعلى سبيل المثال القصر الشمالي في إيبلا كان ملائماً للسكن، فهو يضم مخازن ومطابخ، لكن من الصعب تحديد مكان هذا القسم بشكل مؤكد لعدم وجود أدلة أثرية تساعدنا على ذلك. ويرجح باولو ماتيه (منقب القصر) وجود هذا القسم في القطاع الغربي من القصر، لكنه كان مخصصاً للإقامة المؤقتة وليس الدائمة<sup>73</sup>.

وبالنسبة إلى الموقع الذي بنيت فيه الشقق الملكية، القصور تقدم أدلة على وجود هذا القسم في الطابق الأرضي أو الطابق الأول أو في الاثنين معاً. وبالنسبة إلى الشقق الملكية التي شيدت في الطابق الأرضي من القصر، اعتمد الباحثون في تحديدهم لمكانها على بعض المكتشفات الأثرية المنزلية، ففي الغرفة 9 في قصر أور

71 Lagarce (Jaques et Elizabeth) « Ras Ibn Hani au bronze récent » le pays d'Ougarit autour de 1200 AV. J.-C., Actes du colloque international, Paris, 28 juin – 1er juillet 1993, Paris 1995, p. 146.

72 Abdulhak, op. cit., 376.

73 Mathiae (Paolo) « Fouilles et restaurations à Ebla, 1998-2001: structure et fonction des palais royaux dans la ville paléosyrienne », Les annales archéologiques arabes syriennes, volume 45-46, 2002-2003 , p. 136.

توجد بقايا قناة لتصريف المياه المستعملة. والغرفة 6 في قصر تل الرماح كانت مزودة بموقد، ربما كان مخصصاً لتسخين مياه الحمام، أمّا الغرفة 28 في القصر نفسه فكانت تضم بعض الترتيبات التي تؤكد أنها كانت حماماً أو مرحاضاً<sup>74</sup>.

وبحسب دراستي لقصر ماري الملكي تبين أن الطابق الأرضي كان يضم بيتاً للملك (الساحة 31 والصالات المحيطة بها)، إذ عُثر على بقايا لوحات جداريه في بعض الغرف ومسبح صغير وحمام يضم حوضين مائيين مخصصين للملك والملكة وموقداً لتسخين المياه<sup>75</sup>. ولم يسكن الملك في هذا البيت إلا في بعض المناسبات، أو أن هذا البيت كان هو البيت الحقيقي للملك لكن في مرحلة مبكرة من تاريخ القصر. وفي مرحلة متأخرة من تاريخ هذا المبنى شيد سيد القصر شققاً ملكية في الطابق الأول واستقر فيها مع عائلته.

وينشابه قصر ماري الكبير مع قصور شرقية أخرى (قصر السوية السابعة في الألاخ<sup>76</sup> وقصر أوغاريت الملكي والقصر الغربي في إيبلا) فيما يتعلق بمكان وجود الشقق الملكية، فقد أشار المنقبون إلى كثير من الأدلة التي تبرهن على وجود الشقق الملكية في الطابق الأول. ولعل أهم دليل على ذلك وجود بقايا أدراج في غرف قريبة من صالة العرش تساعد الملك على النزول من شقته في الطابق العلوي إلى صالة العرش في الطابق الأرضي.

### الوظيفة الدينية للقصور الشرقية

من خلال الدراسات المعمارية للقصور الشرقية تبين أن بعض القصور كانت تضم قسماً دينياً، مخصصاً للعائلة الملكية وكبار موظفي البلاط لإقامة بعض الطقوس الدينية. ويقدم قصر ماري الملكي خير مثال على ذلك، فهو يضم معبداً يقع في الحي

74 Abdulhak , op. cit., p. 340.

75 Idem, p. 341.

76 عبد الحميد - مرعي - عبد الله ، المرجع السابق، ص 372.

الشرقي من القصر، ويتألف من عدة صالات، وفي داخله أكثر من مصلى<sup>77</sup>. وأشرنا سابقاً إلى أن قصر تل الأسمر الأموري كان ملاصقاً للمعبد في مرحلة مبكرة من تاريخه، ويمكن الانتقال من القصر إلى المعبد عبر بوابة تربط بين المبنىين (الشكل 8). ومع أن المعبد لم يكن جزءاً من القصر إلا أن علاقة القصر المتميزة بالمعبد كانت تختلف عما هي عليه في قصور أخرى، إذ لم يعثر المنقبون في مختلف المواقع على قصر كان يجاور المعبد بهذه الصورة.

ويعتقد منقب قصر قطنا أن الصالة F في هذا المبنى كانت مصلى صغيراً، مخصصاً لعبادة الآلهة أشيرا، و أن الصالة P كانت هي الأخرى مصلى تُعبد فيه الربة بيليت إيكاليم<sup>78</sup>. لا نستطيع أن نتبنى هذه الفرضية لعدم توافر أدلة أثرية (مذبح وتمائيل للآلهة وطاولة توضع عليها القرابين) أو مكتوبة (نصوص تتحدث عن الآلهة) تدعمها.

وفي القسم الشمالي الغربي من مدينة إيبلا يقع القصر الشمالي على مقربة من معبد عشتار<sup>79</sup>. إن وجود هذا المعبد في هذا المكان دفع باولو ماتيني للاعتقاد أن هذا القسم من المدينة كان يشهد بعض الاحتفالات الدينية والسياسية التي تتعلق بالربة عشتار والملك. أنا أؤيد هذه النظرية لأن العلاقة بين الآلهة والملك كانت قوية جداً في الأزمنة القديمة، فالآلهة كما هو معروف كانت تدعم سلطة الملك.

وقدمت القصور الشرقية أدلة أخرى تثبت أهميتها الدينية، فعلى سبيل المثال عثر المنقبون على تماثيل صغيرة في قصر ماري الكبير وقصر قطنا و قصر تل أسمر الأموري (السوية الثالثة). وتدل هذه التماثيل على وجود ديانة شعبية اعتنقها الخدم الذين كانوا يعيشون داخل القصر، تختلف اختلافاً كبيراً عن الديانة الملكية التي

77 Abdulhak , op. cit., p. 150-151.

78 Pfälzner, op. cit., p. 45.

79 Matthiae, Fouilles et restaurations à Ebla, 1998-2001: structure et fonction des palais royaux dans la ville paléosyrienne, op. cit., p. 138.

تقوم على أساس تقديس الآلهة ذات التأثير الكبير في المجتمعات القديمة كعشتار وغيرها. ومن الأدلة الأخرى على ذلك اللوحات الجدارية التي تبرز أهمية الآلهة في الدولة كلوحة التنصيب التي وُضِعَتْ على أحد جدران الساحة 106 في قصر ماري الملكي (الشكل 9). وتظهر هذه اللوحة الربة عشتار التي تقوم بتنصيب أحد ملوك ماري ومنحه السلطة. ويقدم قصر إيبلا الغربي أدلة من نوع آخر تبرز الدور الديني للقصر: وجد المنقبون في داخل القصر تمثالاً صغيراً لكاهنة في وضعية الجلوس، وكسرات حجرية صغيرة لحوض مائي كان يستخدم لأغراض دينية<sup>80</sup>.

### النشاطات الاقتصادية للقصور الشرقية

لم تؤدِ القصور دوراً سياسياً وإدارياً ودينياً فحسب، بل كان لها دور اقتصادي مهم إذ كانت تمتلك قطعان الماشية، وتدير مساحات واسعة من الحقول التي تتبع لها، وكانت تمتلك أيضاً مراكز اقتصادية تقوم بعمليات التبادل التجاري بين مختلف المناطق<sup>81</sup>، ويقدم قصر المدينة المنخفضة في تل ليلان خير مثال على هذه النشاطات، فمن خلال أرشيفه تبين أن القصر كان يدير عمليات استيراد وتصدير لمختلف المنتجات كالنبيذ والفضة والألبسة. وعُثر في أوغاريت على وثيقة تبرز الدور التجاري الذي كان يؤديه القصر، وتتحدث هذه الوثيقة عن توزيع كميات من الخمور على تجار رافديين ومصريين من المستودعات التابعة للقصر الملكي<sup>82</sup>.

80 Matthiae (Paolo) «Fouilles et restaurations à Ebla en 2000-2001: le palais occidental, la résidence occidentale et l'urbanisme de la ville paléosyrienne», Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2002, p. 566, 558.

81 Charpin (Dominique) « Le rôle économique du palais en Babylonie sous Hammourabi et ses successeurs », le système palatial en orient, en Grèce et à Rome, Actes du colloque de Strasbourg 19-22 juin 1985. Université des Sciences Humaines de Strasbourg, 1987, p. 113.

82 قابلو - سمير، المرجع السابق، ص272.



وفي داخل القصر كان يوجد قسم اقتصادي، يُستخدم لتخزين المواد الغذائية (حبوب وطحين وزيت ونبيد) التي يستخدمها سكان القصر<sup>83</sup>. وتعدُّ جرار التخزين من أهم الأدلة التي تشير إلى وجوده في هذا القصر أو ذلك.

وبالنسبة إلى شكل المخازن، كانت طويلة وضيقة في كثير من الأحيان، كما هو الحال في قصر ماري الملكي<sup>84</sup> (الشكل 10 و 11) والقصر الشمالي في إيبلا وقصر أورك. وتقدم القصور الأخرى شكلاً آخرَ للمخازن، يختلف عما هو عليه في القصور سالفة الذكر، ففي قصر السوية السابعة في ألالاخ وقصر قطنا أثبت المنقبون وجود عدة مخازن ذات شكل مستطيل، لكنها أقل طولاً وأكثر اتساعاً من المخازن السابقة<sup>85</sup>.

وكانت المخازن في بعض الأحيان تضم في داخلها (قصر ماري الملكي) مصاطب لسند جرار التخزين وتثبيتها كي لا تقع على الأرض وتتكرر (الشكل 10)، وكانت بعض المصاطب محفورة عدة حفر من الأعلى لوضع الجرار في داخلها (الشكل 11)، ممّا يساعد على تثبيتها<sup>86</sup>. وعرفت القصور الشرقية طرائق أخرى لتخزين الجرار: في قصر توتول كان يوجد في داخل أحد المستودعات رفوف خشبية توضع عليها الجرار الصغيرة<sup>87</sup>.

وأدَّت بعض الباحات السماوية هي الأخرى دوراً اقتصادياً، ففي الساحة 131 في قصر ماري كان الملك يستلم بعض الضرائب الملكية على شكل حيوانات (بقر وأغنام وزرافات وغزلان ونعام<sup>88</sup>).

83 Durand, op. cit., p. 62-63, 75-76.

84 Abdulkhak, op. cit., p. 332.

85 Idem., p. 388.

86 Idem, p. 337.

87 Miglus (Peter) Strommenger (Eva) «Tall Bi'a-Tuttul VII, Der palast A. » WVD OG 114, Berlin, 2007, p. 9.

88 Durand, op. cit., p. 52-53.

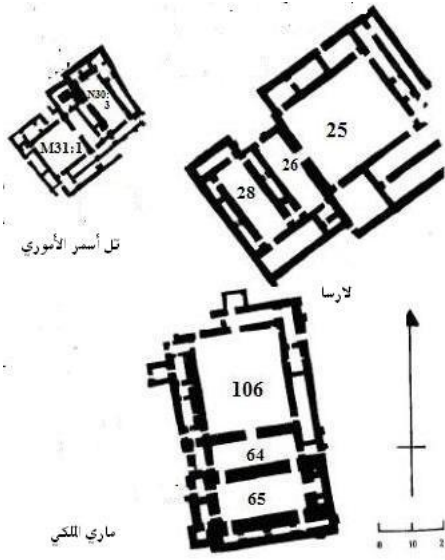
## الخاتمة

وهكذا نرى أن القصور الشرقية كانت تختلف عن بعضها بعضاً في الحجم وفي المكان الذي احتلته في المدينة، فبينما عثر فريق من المنقبين على قصور كبيرة، أدت أدوراً مهمة في حياة دولها، عثر فريق آخر على قصور صغيرة لم يكن لها أهمية كبيرة ولم تؤدِ إلا أدواراً ثانوية. وتبين أن اختيار موقع بناء القصر لم يكن عشوائياً بل كان مدروساً بعناية، فهناك قصور بنيت في مراكز المدن لأن المراكز كانت أكثر أهمية من الأطراف، وهناك قصور بنيت على الأطراف ليسهل الوصول إليها من إحدى بوابات المدينة أو لتراقب بعض المناطق داخل المدينة أو القرية منها.

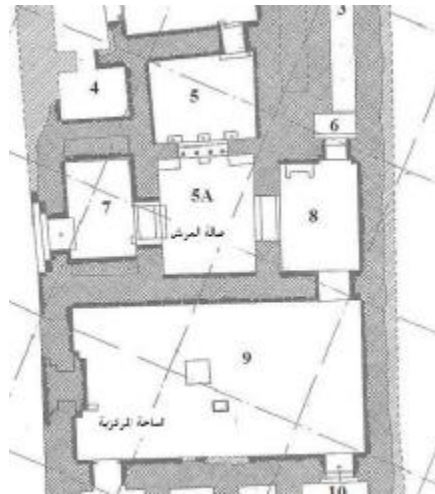
وظهر من خلال هذا البحث أن القصر كان ثمرةً من ثمار التمدن، وأن تشييده لم يكن رغبة من الملك في امتلاك بيت كبير يميّزه عن غيره من سكان المدينة، بل كان ضرورة ملحة فرضتها تطورات حضارية تمثلت بالانتقال من حياة القرية إلى حياة المدينة، وتطورات سياسية تجلت بانفصال السلطة السياسية عن الدينية، نتج عنها ظهور الملك أو الحاكم كشخصية مستقلة ومنفصلة عن الكاهن. وكان الملك بحاجة لمقر حكومي ليدير مدينته أو مملكته منه، ولمنزل يسكنه هو وأسرته، فشيد القصر ليكون حلاً لذلك.

وتبين أن هذه المباني الملكية الكبيرة كانت مخصصة لأكثر من وظيفة (سكنية وسياسية ودينية وإدارية واقتصادية). وليس بالضرورة أن يجمع القصر الواحد بين هذه الوظائف مجتمعة، فهناك ظروف وأسباب تؤثر في حجم هذا القصر أو ذاك وفي عدد أقسامه، فعلى سبيل المثال المملكة القوية والثرية تستطيع بناء قصر كبير يتناسب وراثتها ودورها السياسي.

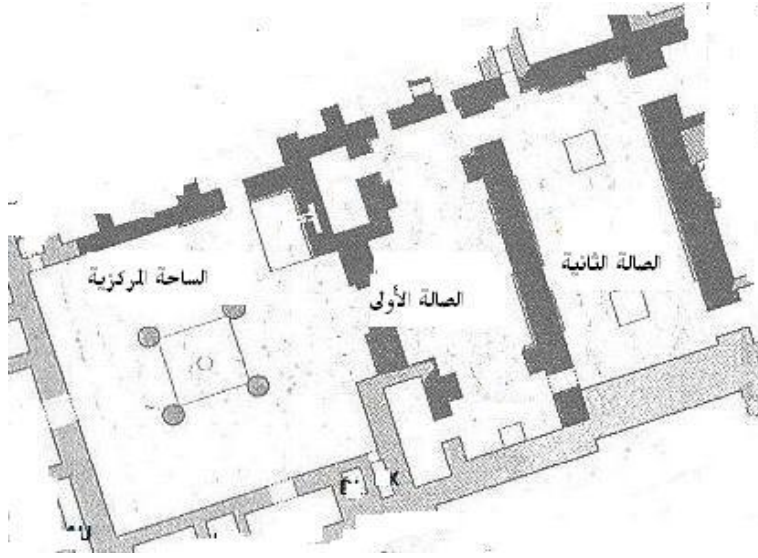
الصور و الأشكال



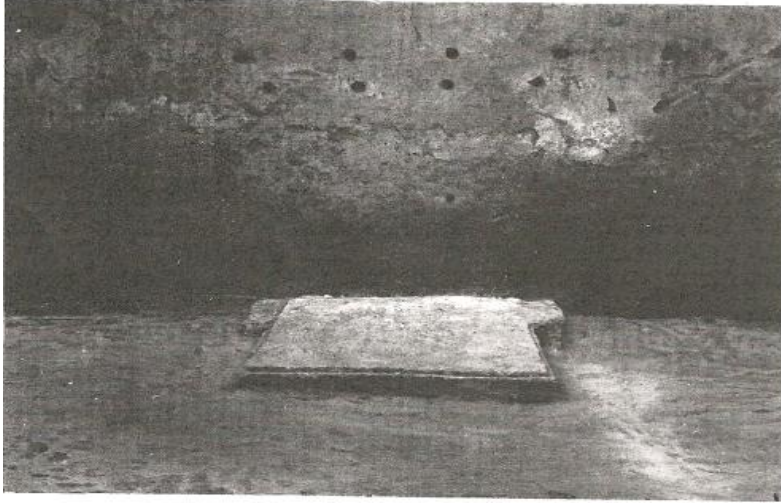
الشكل 1: نماذج من القسم الرسمي في القصور الرافدية



الشكل 2: القسم الرسمي في قصر ألالاخ، السوية 7



الشكل 3: القسم الرسمي في قصر قطنا



الشكل 4: القاعدة الحجرية التي كان يوضع عليها كرسي الملك في صالة العرش في قصر ماري الملكي



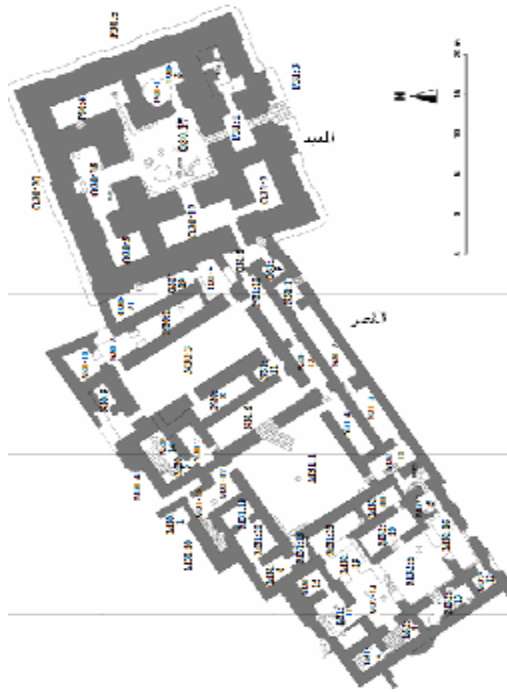
الشكل 5: غرفة جنازية تحت صالة العرش في قصر ماري الصغير



الشكل 6: مطبخ الشقق الملكية في قصر ماري الشرقي، و يضم في الجهة اليسرى  
فرنّاً لطهي الطعام



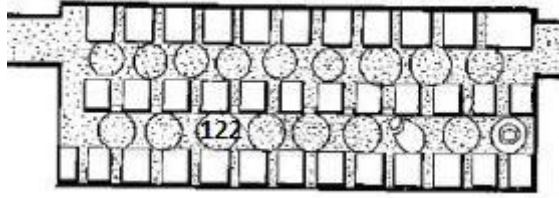
الشكل 7: موقد حمام في قصر ماري الشرقي، كان يستخدم لتسخين المياه



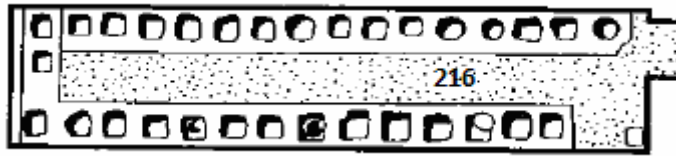
الشكل 8: مخطط يوضح ملاصقة القصر للمعبد في تل أسمر



الشكل 9: لوحة التنصيب تظهر الربة عشتار و هي تمنح السلطة لملك ماري



الشكل 10: المخزن 122 في قصر ماري الملكي، يوجد في داخله مصاطب مربعة لوضع الجرار بينها لسندها و تثبيتها



الشكل 11: المخزن 216 في قصر ماري الملكي يحوي في داخله مصاطب مجوفة من الأعلى، و كان يوضع في كل تجويف جرة لسندها و تثبيتها

## المصادر والمراجع

### المراجع العربية

- 1- قابلو (جباغ) - سمير (عماد)، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين، سورية، مصر) - جامعة دمشق - 2007-2008.
- 2- عبد الحميد (محمود) - مرعي (عيد) - عبد الله (فيصل)، آثار الوطن العربي القديم (العراق، سورية، مصر)، جامعة دمشق، 1998-1999.

### المراجع الأجنبية

- 1- Abdulkhak (Hassan) L'architecture royale en Mésopotamie à la fin du Bronze Ancien et au Bronze Moyen ( de la période de la Troisième Dynastie d'Ur à l'époque paléobabylonienne), volume I, thèse de doctorat d'archéologie, Lyon, 2010.
- 2- Aurenche (Olivier) Dictionnaire illustré multilingue de l'architecture du proche orient, Collection de la maison de l'Orient méditerranéen ancien n° 3, série archéologique, 2, Institut français de Beyrouth (Liban), Lyon, Maison de l'Orient, 1977.
- 3- Callot (Olivier) « Les techniques architecturales », in M. Al-Maqdissi et V. Matoian (éds), L'Orient des palais, le palais royal d'Ougarit au bronze récent, Document d'archéologie Syrienne XV, Direction générale des antiquités et des musées, Damas, 2008.
- 4- Charpin (Dominique) « Le rôle économique du palais en Babylonie sous Hammourabi et ses successeurs », le système palatial en orient, en Grèce et à Rome, Actes du colloque de Strasbourg 19-22 juin 1985. Université des Sciences Humaines de Strasbourg, 1987.
- 5- Durand (Jean-Mari) « L'organisation de l'espace dans le palais de Mari », le système palatial en orient, en Grèce et à Rome, Actes du colloque de Strasbourg 19-22 juin 1985. Université des Sciences Humaines de Strasbourg, 1987.
- 6- Frankfort (Henri)-Lloyd (Seton)-Jacobsen (Thorkild) The Gimilsin temple and the palace of the rulers at tell Asmar, the University of Chicago, oriental institute publications, volume XLIII, Chicago, Illinois, 1940.
- 7- Joannès (Francis) Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne, coll. " Bouquins ", Robert Laffont, Paris, 2001.
- 8- Lagarce (Jaques et Elizabeth) « Ras Ibn Hani au bronze récent » le pays d'Ougarit autour de 1200 AV. J.-C., Actes du colloque international, Paris, 28 juin – 1er juillet 1993, Paris, 1995.



- 9- Margueron (Jean.-Claude) " Le Palais royal d'Ougarit ", in Ras Shamra-Ougarit XI, ERC-ADPF, Paris, 1995.
- 10- Margueron (Jean-Claude) Mari - Métropole de l'Euphrate. Editions Picard et ERC, Paris, 2004.
- 11- Margueron (Jean-Claude) « Le palais d'Ougarit », in M. Al-Maqdissi et V. Matoian (éds) L'Orient des palais, le palais royal d'Ougarit au bronze récent, Document d'archéologie Syrienne XV, Direction générale des antiquités et des musées, Damas, 2008.
- 12- Matthiae (Paolo) «Fouilles et restaurations à Ebla en 2000-2001: le palais occidental, la résidence occidentale et l'urbanisme de la ville paléosyrienne», Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2002.
- 13- Matthiae (Paolo) « Fouilles et restaurations à Ebla, 1998-2001: structure et fonction des palais royaux dans la ville paléosyrienne», Les annales archéologiques arabes syriennes, volume 45-46, 2002-2003.
- 14- Miglus (Peter) «Palast. B. Archäologisch » Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie, volume 10, fascicule 3/4, Walter de Gruyter, Berlin & New York, 2003-2005.
- 15- Miglus (Peter) Strommenger (Eva) «Tall Bi'a-Tuttul VII, Der palast A.» WVD OG 114, Berlin, 2007.
- 16- Parrot (André) Mission archéologiques de Mari, volume II le palais, tome I Architecture, Institut Français d'Archéologie de Beyrouth. Bibliothèque Archéologique et Historique, tome LXVIII, Paris, Librairie orientaliste, 1958.
- 17- Pfälzner (Peter) « Archaeological investigations in the royal palace of Qatna », in D. Morandi Bonacossi (éds), Urban and Natural Landscapes of an Ancient Syrian Capital, Settlement and Environment at Tell Mishrifeh/Qatna in Central-Western Syria, Udiné, (=SAQ 1,DASXII), 2007.
- 18- Pierre (Beatrice) «Décor peint à Mari et au proche - Orient», M.A.R.I. 5, 1987.
- 19- Postgate (Necholas) « The nature of the ancient Near Eastern palace », Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie, volume 10, fascicule 3/4, Berlin, Walter de Gruyter, New York, 2003-2005.
- 20- Reichel (Clemens Daniel) Political Changes and Cultural Continuity in the Palace of the Rulers at Eshnunna (Tell Asmar) from the Ur III Period to the Isin-Larsa Period (C.A 2070 -1850 B.C.), volume I, Chicago, Illinois, 2001.
- 21- Woolley (Charles Leonard) Alalakh, An Account of the Excavations at Tell Atchana in the Hatay, 1937-1949, Printed at the University Press by Charles Batey for the Society of Antiquaries, Burlington House, London, 1955.

---

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/12/2